جذور عمارة الأعمدة فى مصر فى العصر البطلمى

د. عزيزة حسن السيد محجوب

مدرس الآثار اليونانية والرومانية كلية الآداب جامعة المنصورة

جذور عمارة الأعمدة فى مصر فى العصر البطلمى

د. عزيزة حسن السيد محجوب
مدرس الآثار اليونانية والرومانية كلية الآداب جامعة المنصورة

مقدمة:

العامود فى العمارة عنصر إنشائى، [١] (vertical) أو عنصر قائم، داعم لسقف أو جدار أو أسكفة – عتبة أو عقد، ويُراد منه نقل أحمال العناصر الأفقية فى التسقيف – بحسب الحلول المعمارية – إلى القواعد والأساسات التى تنقلها للأرض، والقصد منه الاستفادة من المساحات الحرة التى تُوظف كفضاءات معمارية.

كانت الأعمدة أحد أهم العناصر فى فن العمارة أو فن البناء المصرى وكذلك اليونانى، وقد كانت الفكرة الأساسية لاستخدام الأعمدة فى العمارة المصرية القديمة أن تُستخدم الأعمدة لحمل السقف الخفيف لمدخل أو شرفة مقصورة أو مسكن، ثم استخدمت لحمل ما فوقها من بناء، [٢] وكان العمل الأساسى للأعمدة لدى اليونانيين هو حمل طنف السقف وإزاحة جدران المعبد الداخلى من قوة دفع السقف ذى "الجمالون" إلى الخارج، وفوق الأعمدة يقوم الرواق أى الطابق العلوى من البناء، وأيضاً تكون الأعمدة فى الرواق، كما فى الأجزاء الساندة، ثم تطورت الأعمدة فى العمارة اليونانية حتى صارت من عناصر الجمال كما صارت دعائم يستند إليها البناء، ونفس الشئ بالنسبة للأعمدة المصرية، وبالرغم من انتشار طرز الأعمدة الإغريقية فى مصر، لم تنتقل تلك الطرز من أو إلى مصر بحزافيرها، أو حتى انقرضت فى فنون الإقليم المصرى، كما أن ظهور طرز الأعمدة المصرية و الإغريقية فى عمائر مصر فى العصر البطلمى لا يُعد دليلاً على امتزاج الطرازين المصرى والإغريقى وحضارتيهما، لكن كان نتيجة لالتقاء المصريين والإغريق فى بيئة واحدة ومقدرة الفنان على التكيف بحسب الظروف المحيطة به. [٣]

يرد اسم العامود، هذا العنصر البنائى، فى اللغة العربية بصيغ متعددة منها: [٤] (العمود) ومجموعها (عمد)، (أعمدة)، أو (عمدان)، ثم نجده بصيغة (سارية وسوارى)، وكذلك (وتد وأوتاد)، أو (دعامة)، ويرد بصيغة (سطن) ومجموعها (أساطين)، وكذلك (دنكة) ومجموعها (دنكات) أو (دنك) ، وهى تخص تحديدا البوائك (أعمدة الرواق) التى تحيط بفناء الدار، وثمة عامود Cossal order (ويُقصد به عامود مدمج ملتصق، مستدير القطاع، يزين أحيانا أركان الدعائم التى تُحمل بها الأسقف)، وهناك تسميات ترد من وحى العامود مثل ، (Peristyle) أو (Hypostyle) (بهو، الأعمدة)، ويعنى المبنى الذى يستقر سقفه على أعمدة أو الفناء الذى تدور من حوله البوائك المحمولة على أعمدة.

تشمل عمارة الأعمدة العديد من العناصر المعمارية، وقد وضع الباحثون لها مسميات، وتختلف هذه المسميات أحيانا باختلاف طراز العامود، وتتوافق أحيانا أخرى، وهى كتالى

١-ما تحت الأعمدة ويشمل قاعدة الإنشاء التى يقف عليها العامود Sterlbote، والدرجة العليا أسفل العامود مباشرة Stylbote.

٢-العامود Column، جسم أو بدن العامود Shaft، الحامل بأجزائه groos. flut أو الرقبة.

٣- تاج العامود وهو رأس العامود أو الجزء الذى يتوج أعلى العامود سُمى Capital نظراً لعناصره التكوينية، وهو يشكل الحالة الانتقالية من العامود إلى الطاق أو الجسر الذى يعلوه، ويتكون من ** وسادة حجرية echinus يرتكز عليها التاج وتكون ملساء أو منقوشة، ** حمال abacus وهو كتلة مربعة تمثل التاج نفسه وتقوى العامود على حمل ما فوقه لأنها تقع بين رقبة العامود والساكف، والتاج إما بسيط إما مُزخرف، وتختلف زخارفه باختلاف الطابع الفنى لكل مدرسة معمارية.

٤-القسم العلوى المحمول على العامود سُمى Entablature، ويتألف من ثلاثة عناصر معمارية هى: ساكف العامود architrave ، الإفريز frieze، والعارضة cornice.

أ- ساكف العامود هو العتبة العلوية المكونة من ثلاثة أجزاء هم: ** العتبة المستطيلة episyle، ** الأوتار الزخرفيةguttae ، و** الشريط الرفيع taenia الموجود أسفل الإفريز.

ب - الإفريز وهو المساحة الزخرفية التى تعتلى العتبة المستطيلة فى الساكف، والإفريز يشمل**triglyph مساحة مقسمة ثلاثة أقسام وتنتهى بعدد من النهايات الاسطوانية الشكل،** metope مساحة مزخرفة بزخارف النحت البارز.

ج- العارضة أو الطنف وهو شريط الكتل الحجرية التى تربط أعمدة البناء ببعضها ويوجد أعلى البناء، ويتكون من شكل جمالونى ويُزين بزخارف منحوتة، ويشمل **geison النهاية العليا للكورنيش وحدود الشكل الجمالونى، ** sima وهو الحد الأعلى من السقف الذى يُزود أحيانا بميازيب، و** antefix وهو الجهة الطولية من البناء ويُزخرف بزخارف نباتية، و** acroter وهى الزخارف التى تزخرف زوايا الشكل الجمالونى، و pediment وهى القواصر أو الجبهة المثلثة - (بها المثلثات المكونة من السقف ذى "الجمالون" من الأمام ومن الخلف) -، وتُزين pediment بالمحدب الأسطوانى drums.

هنا ينبغي التنويه بأن الهدف الأساسي من هذا البحث ليس دراسة طرز الأعمدة التى أُستخدمت فى عمائر مصر فى العصر البطلمى، وإنما دراسة جذور طرز تلك الأعمدة فى مصر وبلاد اليونان.

العوامل التى أدت إلى ازدهار جذور عمارة الأعمدة التى أُستخدمت فى مصر البطلمية

يتأثر الفن عامة والعمارة خاصة بالعديد من العوامل المتعلقة بالبيئة مثل العوامل الجغرافية والعوامل الچيولوچية، إلى جانب العوامل المتعلقة بالدولة مثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية وغيرها، وكانت مصر - منذ أقدم العصور الجيولوجية- تمتلك المقومات البيئية الطبيعية والعناصر الضرورية لتأسيس حضارة محلية عريقة، وهذه المقومات البيئية قد أثرت بدورها فى أقدم السلالات البشرية التى استقرت على أرض مصر، كما أثرت فى نشأة الحضارة المصرية القديمة وساهمت فى نموها بفضل مجهودات الإنسان المصرى القديم، [٦] **وأهم العوامل التى أثرت على عمارة الأعمدة فى مصر القديمة هى:-**

ا- العوامل الجغرافية :

أ-الموقع: [٧]

تمتعت مصر -كما هو معروف- بموقع جغرافى متميز حيث تقع بين ملتقى قارات العالم الثلاث مما يسهل لها عمليات الأتصال الخارجى، وكانت مصر تقع فى أقصى الشمال الشرقى للقارة الأفريقية وتبلغ مساحتها ٣ ٪ من مساحة أفريقيا ولهذا تُعتبر مصر جزءا هاما فى منطقة نشوء حضارات الشرق القديم، وتحكم الموقع فى مواصلات الشرق والغرب مما ساعد على قيام علاقات تجارية بين مصر والبلاد المجاورة، وبذلك نجد التشابه الكبير فى عمارة الأعمدة فى مصر وعمارة الأعمدة فى البلاد المجاورة لها.

ب- المناخ [٨]

كان المصرى القديم قد استطاع أن يكيف مبانيه بحيث تتواءم مع طبيعة العوامل المناخية السائدة فى البلاد، ولقد شهدت الأرض فى العصر الحجرى الحديث، أربعة أزمنة مختلفة من الزحف الجليدى على المناطق الشمالية من الكرة الأرضية من ناحية وأربع فترات من الأمطار الغزيرة على النواحى الجنوبية من ناحية أخرى، وبفضل موقع مصر وقعت منطقة نشوء الحضارة المصرية فى مكان وسط بين الزحف الجليدى من الشمال والأمطار الغزيرة من الجنوب مما جعلها تتميز بمناخ معتدل نسبياً، ومن ثم لم تكن هناك ضرورة ملحة للأكثار من فتحات التهوية فى البناء، فعلى سبيل المثال، فى بناء المعابد استخدم المعمارى الأعمدة، [٩] كعناصر فى الإضاءة مع الحرص على أضفاء قدر من الظلام يعطى الأحساس بالرهبة المطلوبة فى المعبد من الناحية الدينية، وتحقق ذلك عن طريق جعل الأعمدة الوسطى أعلى كثيرا من الأعمدة الجانبية كى يكون السقف عند الجانبين أكثر انخفاضاً عنه فى الوسط وبذلك يدخل الضوء من خلال ما بين الفتحات، وهذا الضوء يكون شديد السطوع عند الفتحات ثم يقل فى باقى أجزاء المعبد، إذ تعمد المهندس المصرى تصغير الفتحات لأقصى حد ممكن وأن تكون واجهات المعابد غير مثقوبة بفتحات فأصبحت الحوائط ذات مسطحات كبيرة سليمة ولها فتحات الأبواب ولها أيضا فتحات صغيرة علوية ينبعث منها الضوء بقدر، مما يزيد الجو رهبة وروعة، ولعدم غزارة الأمطار فى منطقة نشوء الحضارة المصرية كانت أغلب الأسقف أفقية دون ميول واكتفى المصرى باستخدام الأسقف السميكة المسندة على الأعمدة كى تكون عازلة لحرارة الشمس ومياه الأمطار، فى حين أنه عندما كانت مصر تتميز بغزارة أمطارها خلال العصر الحجرى الحديث، استخدم المصرى القديم الأسقف المائلة التى نرى صداها بحجرات الدفن الملكية بالأهرامات خاصة خلال الدولة القديمة، وبالطبع كانت الأعمدة ضرورة معمارية لعمل هذه الأسقف المائلة.

٢- العامل الچيولوچى: (١٠)

تتوقف طبيعة العمارة فى إقليم ما على عوامل كثيرة من أهمها مواد البناء المُستعملة ودرجة جودتها ونوع المواد الممكن الحصول عليها، ومن المواد المُستخدمة فى البناء فى مصر القديمة: البوص والأغصان، فلقد كانت التلال والهضاب المحيطة بالوادى مغطاة بالغابات ذات الأشجار الكثيفة والبوص وذلك بسبب الفترة المطيرة فى العصر الحجرى الحديث، فاستخدم المصرى القديم، فى بداية الأمر لبناء الأعمدة قوائم من البوص أو من جريد النخل مربوطة عرضياً بأعود نباتية وتُملأ الفراغات ويُكسى العمود من الخارج بمادة الطين، وهى نفس الفكرة فى العمارة الحديثة، حيث أن قوائم البوص أو الجريد تشبه القوائم الحديدية الكائنة فى الأعمدة الخرسانية المسلحة من المبانى الحديثة، (١١) والأربطة النباتية العرضية تشبه الأربطة الأرضية التى تربط القوائم أو الأسياخ الطولية فلا تتقوس تحت ضغط الحمل عليها، واستعمل المصرى الأعمدة المصنوعة من البوص أو جريد النخل فى عمل الحوائط إذ كانت تلك الأعمدة تُمسك بعوارض من نفس المادة كما تُعمل لها لباسة من الطين فتكون كحائط، ومن هذه الطريقة نشأ شكل الحوائط المصرية الزخرفية التى زُخرف أعلاها بزخرفة الكورنيش المصرى المعروف باسم الجورج المصرى، (١٢) واستعمل المصرى الأعمدة المصنوعة من البوص أو جريد النخل فى التسقيف فى بعض الحالات التى فوقها أحمال، وكذلك فى الأحوال التى لا يلزم وضع أحمال فوقها، بعد ذلك ظهرت الأعمدة النباتية، (١٣) إذ استعمل المصرى القديم سيقان النباتات كسيقان نبات البردى ونبات اللوتس فى تشكيل الأعمدة بدلا من البوص وجريد النخل حيث كثرت فى مصر المجارى والمستنقعات الغنية بنباتاتها، ثم أستعمل الطين ومن بعده الطوب اللبن، كما أستخدم المصرى القديم الأخشاب فى الأعمال المعمارية المختلفة، فظهرت الأعمدة الخشبية على أشكال تلك الأعمدة النباتية، (١٤) ثم إتجه المصرى بعد ذلك لاستخدام الأحجار بشكل واضح، إذ كانت مصر غنية بأحجارها الجيرية والرملية والجرانيتية ...وأيضا الألبستر، وفقيرة فى المعادن الأولية، ولعب المهندسون دورا هاما فى التشييد بالحجر وتجهيز القصور والمنازل والأعمدة، (١٥) ولقد وجدت الأعمدة النباتية سبيلها إلى العمارة الحجرية فظهرت الأعمدة الحجرية بالأشكال النباتية بطرزها المختلفة التى أنتقلت فيما بعد إلى أوروبا لتصبح نواة العمارة اليونانية والرومانية، (١٦) وكانت تلك الأعمدة الحجرية بالأشكال النباتية عبارة عن هندسة البناء فى الحجر، ومنها:

-الأعمدة النخيلية Date palm column التى تأخذ هيئة النخل، وهى عبارة عن تمثيل رمزى لشكل الشجرة أو النخلة، وتتميز الأعمدة النخيلية، بأن لها بدن إسطوانى أملس يقل قطره قليلا من أسفل لأعلى، ويتوجه لأسفل ويعلو مستقيماً ثم يتقوس قليلاً فى أعلاه، ومن فوقه ركيزة قليلة السمك لا تكاد تظهر، ويتجمع جريد النخل فى شكل حزمة مربوطة برابط من خمس لفات متتالية ليتدلى طرفها فى شكل نصف دائرة، ويشير هذا الرابط إلى أن هذه الأعمدة ترجع فى الأصل لزخرفة الدعائم الأولى من فروع الشجر وأعواد النبات لسقف النخيل، وإلى جانب الأستخدام المعمارى استخدمت تلك الأعمدة النخيلية أيضا فى زخرفة أسوار البناء بحيث كانت أطرافها العليا تُترك للخارج فأكسبت الأسوار شكلا زخرفيا نُقل إلى البناء الحجرى. (١٧)

-أعمدة البردى (papyri form) التى تُعتبر من أهم الأعمدة النباتية وأكثرها انتشاراً لأن نبات البردى ينمو بصورة كثيفة بمستنقعات الدلتا، ويتراوح طول ساق النبات مابين ٢-٣ متر بخلاف الزهرة، ويبلغ قطرها ٤ سم، ويتكون من غلاف خارجى بداخله نسيج رخو أبيض اللون يتغير لونه للأصفر بمرور الزمن ويميل بعد ذلك للزرقة، ولقد كان شكل التاج فى أعمدة البردى بنفس شكل نبات البردى حيث الجسم بشكل مقطع مثلث، والعروق ذات الحافة المدببة، وفى بعض الأحيان نرى أن المصرى قد أهمل تمثيل عروق النبات ليجعل من سطح العامود -المستدير القطاع- مكاناً مناسبا لتسجيل الكتابات التى يريد نقشها على الأعمدة، وكان لأعمدة البردى قواعد مستديرة، وتوجد أمثلة له فى معبد آمون والأقصر، وهناك طراز آخر منه ذو ساق واحدة تعلوها زهرة مقفلة أو مفتوحة على شكل ناقوس، وكان استخدام أعمدة البردى مرتبطاً بالأساطير الدينية حيث أن قارب إيزيس الذى اتخذته للبحث عن أحشاء زوجها فى أحراش الدلتا كان مصنوعا من نبات البردى وسيقانه، هذا إلى جانب أهميته فى الطعام وصناعة الورق والحصير والسلال والنعال والحبال والقوارب وبعض الباقات الجنائزية.

شكل (١) نموذج من الأعمدة البردية ذات الحزم الموثقة والزهرة المغلقة بالقاعة الرئيسية. معبد الرامسيوم. الأقصر. (١٨)

-أعمدة اللوتس (lotus form) تعود تسميتها نسبة لزهرة اللوتس، وقد رُوعى أن يكون شكل أعمدة اللوتس بشكل كأس الزهرة فى تحوير زخرفى يمثل اللوتس الأبيض، وكذلك عُمل جسم العامود على شكل عروق اللوتس المستديرة، وله ثلاثة أنواع : (١٩)

** تاج مؤلف من زهرة واحدة مقفلة على شكل برعم وساقه أسطوانية،

** تاج مؤلف من زهرة واحدة مزهرة على شكل ناقوس معكوس الوضع،

** تاج مؤلف من عدة أزهار مقفلة ساقه بشكل سيقان أزهار اللوتس وهى –كما فى البردى- مستديرة الشكل تجمعها عند أسفل التاج خمسة أربطة، وفيما يبدو ظهرت أقدم هذه الأعمدة اللوتسية بمصر العليا حيث أُتخذ اللوتس شعارا لمملكة الجنوب.

شكل (٢) نموذج لأعمدة على شكل زهرة اللوتس مركبة الزخارف. معبد إسنا. (٢٠)

أما بالنسبة لمواد البناء لدى اليونانيين، فقد شُيدت أقدم الهياكل اليونانية من الخشب أو اللبن، وهما أنسب المادتين إلى العصر المظلم الفقير؛ ولما أن صار الحجر المادة الأصلية فى تشييد الهياكل، بقيت المظاهر المعمارية كما كانت فى عهد البناء بالخشب، [٢١] وظل جسم المعبد الأصلى المستطيل، والأعمدة المستديرة، والعارضة (الرئيسيـة) المركبة على الأعمدة، والحزوز الثلاثية فى طرف العارضة، والسقف ذو (الجمالون) بقيت هذه كلها شاهدة على الأصل الخشبى الذى استمدت منه شكلها الأول، بل إن الشكل اللولبى فى العامود الأيونى كان كما يبدو من صورته رسوماً لنباتات وأزهار على كتلة من الخشب، وكثر أستعمال الحجارة بإزدياد ثراء اليونانيين وكثرة أسفارهم، وكان الأنتقال أسرع ما يكون بعد أن فتحت مصر أبوابها للتجارة اليونانية حوالى عام ٦٦٠ق. م، [٢٢] وكان حجر الجير المادة الشائعة الأستعمال فى أنماط البناء الجديدة قبل القرن السادس قبل الميلاد، ثم بدأ اليونانيـــون فى استعمال الرخام حوالى عـــام ٥٨٠ق.م، [٢٣] وكان الرخام أول الأمر يُستخدم فى الأجزاء التى يُزين بها الهيكل، ثم استخدم الرخام بعدئذ فى تشييد واجهات الهياكل وفى تشييد أعمدة تلك الواجهات، واستخدم الرخام آخر الأمر فى بناء الهيكل كله من قاعدته إلى سقفه.

٣- العامل العلمى [٢٤] (تكنولوجيا علم البناء):

يحتاج العامود إلى عدة عمليات هندسية وقيايسية وحسابية للتحكم فى كل من: الأحمال ويقصد بها مجموع الأوزان الضاغطة على العامود، والتوازن ويقصد بها أستقرار العامود فى وضعه دون إنحناء، والاستقرار ويقصد بها استقرار قاعدة العامود منعاً للهبوط، وكذلك ارتفاع العامود وقطره، وقد دلت المكتشفات الآثرية أن المصريين القدماء كان لهم الفضل فى وضع مثلث تكنولوجيا علم بناء للعالم أجمع، وأدى إلى التقدم فى فن العمارة، ذلك المثلث الذى تتكون أضلاعه من:

أ. وحدة البناء/ وهو قالب الطوب الذى ابتكره المهندس المصرى القديم "توبتى" منذ ثمانية آلف سنة وأعطاه اسمه، وحدد شكله ونسب أبعاده التى احتفظ بها العالم إلى اليوم.

ب. وحدة القياس/ عرف المصرى القديم وحدات القياس إبتداء من اليوحة الهرمية للذراع المعمارى وغيره من وحدات القياس وتقسيماتها العشرية والمئوية وأستعمالها فى حساب الأبعاد والمسطحات والفراغ، مع ما أرتبط بكل منصف من نظريات حسابية ورياضية وهندسية، بجانب اختراع الأرقام التى حدد بها وحدات القياس وعلوم الرياضيات والهندسة التى وضعت نظريات فنى العمارة وعلوم الإنشاء، بالإضافة إلى ابتكار وحدات قياس الزمن ابتداء من السنة الثانية وتقسيماتها التى نقلها عنه العالم أجمع، ولم يحاول تغييرها إلى اليوم.

جـ- وحدة التشكيل/ إبتداء من الخط المستقيم بمختلف الزوايا والدوائر والمنحنيات وتشكيلاتها الهندسية وما أرتبط بها من علوم حساب المثلثات والهندسة الوصفية والعلوم التشكيلية، وظهرت فى مصر أعمدة ملتصقة بالجدران غير كاملة بسبب اندماج جزء منها فى الجدار حتى سميت أحياناً الأعمدة النصفية، أوالمتشابكة واتخذت عدة أشكال فهى أحيانًا ذات أضلاع هندسية، ثم ظهرت الأعمدة المربعة الضخمة المنحوتة من كتلة واحدة.

شكل (٣) الأعمدة المربعة
معبد الوادى (معبد الملك بيبي الثانى).. الجيزة. [٢٥]

٤- العامل الدينى :

كانت أشهر الأعمدة التى أثرت العقائد الدينية المصرية فى تصميمها المعمارى هى الأعمدة الحتحورية، [٢٦] وهى أعمدة تشبه إلى حد كبير تلك الآلة الموسيقية المصرية لـ(باسمسيسترون) وهى شخشيخة تنتهى من أعلى بشكل الإلهة حتحور أو رأس حتحور وهى تحمل فوق رأسها واجهة منزل أو معبد، هذا إلى جانب الأعمدة الأوزيرية وغيرها من الأعمدة المرتبطة بأشكال الآلهة المصرية.

شكل (٤) نموذج للأعمدة الحتحورية.معبد دندرة .(٢٧)

أما بالنسبة لتأثير الدين فى عمارة الأعمدة لدى اليونانيين فنجد أنه فى العصر الميكينى كانت العمارة اليونانية مدنية غير دينية، منصرفة كلها إلى تشييد القصور والدور؛ أما العمارة اليونانية فى عصر اليونان الزاهر فتكاد أن تكون كلها دينية، (٢٨) فقد استحال القصر الملكى معبداً مدنياً بعد أن اضمحلت الملكية، وعمل الدين والديمقراطية على توجيه عواطف اليونانيين إلى تعظيم المدينة فى شخص إلهها فشُيدت المعابد أو الهياكل الدينية وكانت الأعمدة أحد أهم العناصر فى تشيدها، وكان فن العمارة أو فن البناء اليونانى فى القرن السادس قبل الميلاد قد أستعاد على مهل ما خسره بسبب الغزو الدورى، (٢٩) ورفع اسم الدوريين إلى أكثر مما يستحق، وانتقلت أسس العمارة الميكينية إلى بلاد اليونان خلال العصور المظلمة القديمة الممتدة من عهد أجاممنون إلى عهد تربندر، فاحتفظت روائع الفن اليونانى بطراز البناء المستطيل القائم الزوايا، وبأستخدام الأعمدة فى داخل البناء وخارجه، وبجسم العامود المستدير وتاجه المربع البسيط، وبالأروقة المُعمدة، والوجهات ذات الحزوز، وبينما كان الطراز الدورى من البناء ينمو ويتطور على أيدى الدوريين ويتكيف فى أغلب الظن بأبهاء الأعمدة الموجودة بمصر والمتقدمة على العصر الدورى -كالأعمدة الموجودة فى الدير البحرى وبنى حسن، كان اليونانيون الأيونيون يبدلون هذا الشكل الأساسى نفسه بتأثير الطرز الآسيوية ونشأ من هذا التطور طراز فنى أخر هو الطراز الأيونى، (٣٠) وإزدهر الطرازان المتنافسان (الدورى و الأيونى) إزدهاراً عظيماً فى القرن السادس ق.م وبلغا ذروة الكمال فى القرن الخامس، (٣١) وقد قسما بلاد اليونان من الناحية الجغرافية قسمة ضيزى، فكان للفن الأيونى السيادة فى بلاد آسيا اليونانية وفى بحر إيجة، وكان للفن الدورى السيادة فى أرض اليونان نفسها وفى غربها، وفى القرن الرابع قبل الميلاد زاد أزدهار (مراتب) العمارة الدورية، والأيونية، ثم الكورنثية فى بلاد اليونان،(٣٢) فقد استخدمت (المراتب) الثلاث كلها فى تجميل الهيكل من خارجه وجعله ذا روعة ومهابة، إذ كان داخل الهيكل مخصصاً للإله والكهنة القائمين على خدمته، وكانت العبادات كلها تُؤدى فى خارجه، وكان ذلك التجميل بأستخدام الأعمدة يبدأ من الأرض نفسها، وهى عادة مكان مرتفع، فتُبنى قاعدة البناء أو قاعدة الأساس من درجتين أو ثلاث درجات من الحجارة كل منها أقل مساحة من التى تحتها، وفوق الدرجة العليا من قاعدة البناء أو قاعدة الأساس يكون العامود.

-العامود الدورى

العامود الدورى قد يكون مفرطاً فى الثقل، مفرطاً فى سمكه بالنسبة إلى أرتفاعه، مغرقاً فى الصلابة والقوة إغراقاً.

كان العمود الدورى يقوم مباشرة فوق الدرجة العليا من قاعدة البناء دون أن تكون له قاعدة خاصة، ويتكون العامود الدورى من بدن، ويزدان البدن من أسفل بحزوز ضحلة محدودة الجوانب، ثم يتسع العامود أتساعاً ظاهراً فى وسطه ويتكون منه ما يسميه اليونان (إمتداداً) له، ثم تقل سعة العامود الدورى بعض الشىء كلما قرب من قمته، فيكون أشبه بالشجرة ومناقضاً للطراز المينوى- الميكينى، وبدن العامود الدورى يضيق قليلا كلما اتجه إلى أعلى- لذا يبدو ثقيلاً فى أعلاه غير جميل فى منظره، وفى أعلى نهاية بدن العامود الدورى توجد الرقبة وهى بشكل رباط مستدير يقوم فى أعلاه التاج، وفوق التاج العارضة، والعارضة فى

الطراز الدورى كانت بسيطة أو كانت تحمل فوقها طنفاً بسيطاً ملوناً، بينما الإفريز فى الطراز الدورى يشمل عناصر معمارية: ** triglyph وهى مسطحات بها ثلاث بروزات حجرية بين مسطحات metope ، و ** corona وهى الوجه الرآسى البارز بالجزء العلوى من الكورنيش، و** mutule وهى كتل حجرية تبرز على triglyph أسفل corona ، و** requle وهى شريط يعلو metope ، و** guttae وهى الجزء المُصور أسفل mutule ويكون على هيئة رؤوس مسامير، وكانت الكتل المائلة التى يتكون منها إطار السقف فى الطراز الدورى تنحدر إلى أسفل، وتمسكها الكتل الأفقية التى عند الطنف.

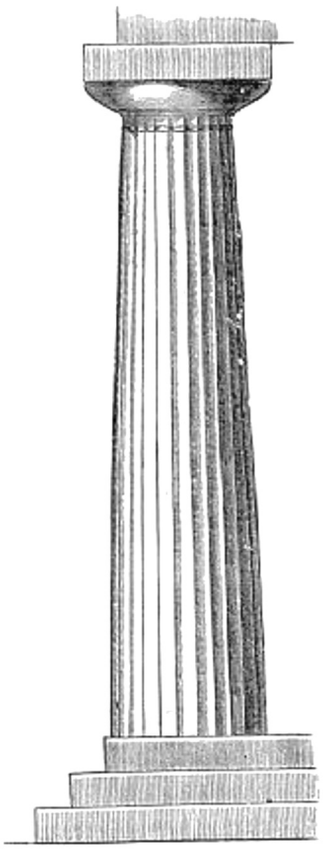

نموذج العامود الدورى. معبد البارثنون.أثينا. (٣٣)

-العامود الأيونى

فوق قاعدة البناء يقوم العامود الأيونى على قاعدة خاصة به، وتبدأ من أسفلها كما تنتهى فى أعلاها بشكل طوق أو شريط ضيق من زخرفة الأسنان، ويتكون العامود الأيونى من بدن رفيع ينقص فى سمكه من أسفل إلى أعلى قليلاً (نقصاً لا تكاد العين تدركه)، وفى العادة كان بدن العامود الأيونى أكثر أرتفاعاً وأصغر قطراً من بدن العامود الدورى، وينتهى بدن العامود الأيونى بحزوز غائرة، نصف دائرية تفصلها عن بعضها أطراف منبسطة، وكان تاج العامود الأيونى يتكون من وسادة محدبة ضيقة، ويعلوها تاج (حمال) أضيق منها، وبينهما تبرز تلفيفة أو زخرفة لولبية مزدوجة (حلزون الأيون)، وهذه الزخرفة تكاد تخفى الوسادة والحمال عن العين كأنها ملف مطبوق نحو الداخل، وذلك عنصر مأخوذ عن الأشكال الحيثية، والآشورية، وغيرهما من الأشكال الشرقية، أما العارضة فى العامود الأيونى فكانت تتكون من ثلاث طبقات تبرز كل منها تحت ما فوقها، وكان فى أعلاها حلية حيث أن الكتل المائلة التى يتكون منها إطار السقف كانت أطرافها الثلاثة مجتمعة يتكون منها سطح مُقسم ثلاثة أقسام، ويتُرك بين كل قسم والذى يليه فراغ تتكون منه نافذة مفتوحة – وإذا كان السقف من الخشب أو الحجر المقلد للخشب أو من قطع القرميد المحروق لا توجد نقوش –؛ فإذا ما أُستعملت فى السقف قطع مسطحة من الرخام فإن هذه "النوافذ" ونقوش الطنف- كانا يُستخدمان فى البناء الواحد.

شكل(٦) نموذج العامود الأيونى.معبد الأرخثيون.أثينا. (٣٤)

وأخيراً العامود الكورنثى وهو الذى أزدهر فى كورنثا، وذو تأثيرات مصرية، ويشبه العامود الأيونى إلى حد كبير، لكن تاجه بشكل نسقين من أوراق الأكانثوس Acanthus.

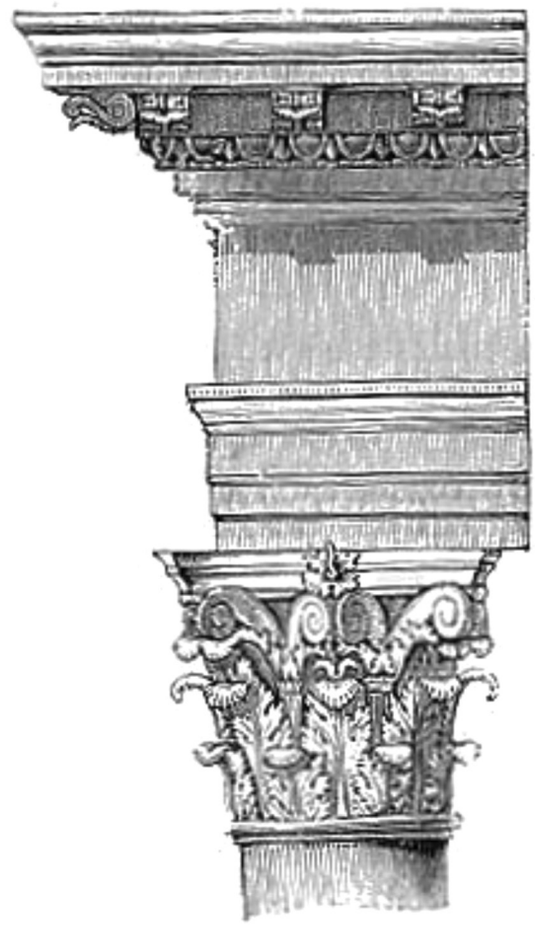

شكل(٧) نموذج العمود الكورنثى. النصب التذكارى يسكراتس.أثينا. (٣٥)

وجد المثالون فى pediment (القواصر) أحسن الفرص لإظهار فنهم، وكان فى وسعهم نقش الصور فيها نقشاً كبير البروز، وتكبر بحيث يستطيع أن يراها من يقف فى أسفل البناء؛ وكانت الأركان المتجمعة- أو الطبول -عند المعماريين- وسيلة تُختبر بها مهارة الفنان العظيمة، وكان فى أستطاعة المثالون أن يجعلوا السقف نفسه تحفة فنية تجملها قطع القرميد الزاهية الألوان والمثقفات التى تُستخدم لتصريف مياه الأمطار، وتُتخذ فى الوقت نفسه قواعد للتماثيل العليا ترتفع من زوايا القواصر، وقصارى القول أنه كان يوجد فى الهيكل اليونانى، وبين الآعمدة، وعلى الجدران، وفى داخل البناء نفسه، ما يزيد على الحاجة من التماثيل والنقوش، وكانت للرسام أيضاً يد فى زينتها، فقد كانت فنون لنحت والنقش والتصوير وثيقة الاتصال بعضها ببعض، وكانت كلها تُستخدم فى العمارة.

* * الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن الأعمدة التى شيدت فى مصر بالعصر البطلمى، وكانت ذات جذور مصرية أو يونانية سريعة التطور فى بلادها قبل انتشار طرزها بمصر فى العصر البطلمى، نظراً لوجود تكامل فى عناصر البيئة المصرية؛ من حيث توافر المناخ الصالح للإنبات والنمو والحصاد وبناء العمائر، كما تمتعت مصر بالتربة الخصبة والطمى الغنى الذى تجلبه مياه الفيضان ويصلح فى البناء، وكذلك وفرة المياه فى كل الأوقات من العام سواء من نهر النيل أو الأمطار الشتوية؛ هذا بالإضافة إلى تنوع المواد اللازمة التى تساعد الفنان على الإبداع الفنى فى مجال عمارة الأعمدة.

أما بالنسبة لسرعة تطور عمارة الأعمدة الإغريقية فكانت نتاجا لطبيعة الحضارة الإغريقية، التى تتسم بتأثير العوامل الجغرافية على حضارتها، إذ تنتشر بها الجبال مما أدى إلى ظهور النزعة الإنفصالية بين سكان المناطق المختلفة فى بلاد اليونان، فحدث الكثير من النزاع بين السكان بعضهم البعض، ولعل خير مثال على ذلك الحروب التى وقعت بين أثينا وأسبرطة؛ وتعرف بالحروب البيلوبونيسية، فنتج عن ذلك تنافس فى مجالات كثيرة منها عمارة الأعمدة. كما نستنتج أن أغلب الأعمدة المصرية والإغريقية كانت قد استلهمت عناصرها الروحية من العقائد الدينية، والمبادئ، ومن العادات والتقاليد، أما عناصرها الشكلية فقد أستمدتها من طبيعة الإقليم ومواده الخام. وأن البساطة فى عمارة الأعمدة المصرية والإغريقية كانت مقرونة بالجمال والأنسجام والالمام المتميز بعلم العمارة بما يشمله من هندسة البناء وحساب الضغط ومقاومة الأجسام وغير ذلك من متطلبات العمارة مما أوجد العظمة والضخامة، والاكثار من استعمال الأشكال المستطيلة أو المربعة المتجاورة أو المتداخلة فى العناصر المعمارية للأعمدة، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بتذوق الطبيعة وولوج باب الحياة والحركة، مما أحدث تعديلاً فى فلسفة العمارة وتبدو مظاهر هذا التعديل فى إقامة أعمدة ذات زخارف نباتية وأخف بدنا من الأعمدة المربعة، وهو ما أدى إلى إحداث التعديل فى

المساحات الداخلية للقاعات والأفنية بعد أن فقدت صرامتها الهندسية التى فرضتها المسطحات الهندسية المجردة –، كما أن شكل العوارض فوق تيجان تلك الأعمدة وما تتميز به التيجان من زخارف، أسبغا شيئًا من الرقة على تأثير الشكل الخارجى للمبانى، فلسنا إذن أمام تغيير فى الذوق فحسب بل أمام تبدل فى فلسفة العمارة، كما نستنتج أن الأهداف التى كان يرمى إليها المهندسون الذين كانوا يسعون إلى التقشف والبساطة التامة متخذين من ذلك وسيلة لإسباغ التأثير الدينى الجبار على مبانيهم العظيمة وإبراز هيبتها، وما كان لاستخدام الحجارة من شأن فى هذه الحركة، كانت كلها عوامل أسهمت فى أن يكتب لعمارة الأعمدة النجاح، غير أنها لم تكن وحدها العوامل الأساسية فى هذا النجاح، وأخيرا نستنتج أن جذور الأعمدة التى اُستخدمت فى عمائر مصر فى العصر البطلمى جعلت تلك الأعمدة لا تمثل طرزًا فى العمارة فحسب، بل يستبين منها كذلك خواص صنف من الناس، فعلى سبيل المثال، كانت أعمدة اللوتس المصرية هى تمثيل فى الحجارة ما كان يمتاز به المصريون من تذوق فنى وتأمل فى الطبيعة، أما طراز الأعمدة اليونانية: فهى تمثيل فى الحجارة ما كان يمتاز به الدوريون والأيونيون، إذ أن الطراز الدورى كان يعبر عن تحفظ الدوريين وكبريائهم، وضخامتهم وقوتهم، وبساطتهم الصارمة؛ فى حين أن الطراز الأيونى كان يعبر عما كان يمتاز به الأيونيون من وضوح، ودماثة، وقوة عاطفة، ورشاقة، وولع بالتفاصيل الرقيقة، وختاما فإن وضوح الجذور الأصلية فى عمارة الأعمدة التى اُستخدمت فى عمائر مصر فى العصر البطلمى يوكد تمسك كل من المصريين واليونانيين –خلال العصر البطلمى فى مصر– بالطابع الحضارى لفنهم فى كل المجالات وأهمها عمارة الأعمدة.

---

(1) Jones, Tom.B., "from the Tigris to the Tiber",(printed in the united states of America , 1978), p.54

(2) Breasted, James -Henry ., "A history of Egypt".(paul's house,), (London, 1937) , p. 35.

(3) Charles Freeman., Egypt, Greece and Rome. (Oxford University Press,1996), introduction.

(٤) علام، نعمت أسماعيل، "فنون الشرق الأوسط"، (القاهرة ، ١٩١٩)، ص٢٨.

(٥) حجاج ، منى عبد الغنى "محاضرات فى العمارة الهلينية"،(إسكندرية،١٩٩٧)، صفحات ٤٥-٧٠.

(٦) شبل، فؤاد محمد، "دور مصر فى تكوين الحضارة"، (القاهرة، ١٩٧١)، ص ١٠٥.

(٧) شبل، فؤاد محمد، "المرجع السابق"، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(٨) شبل، فؤاد محمد، "المرجع السابق"، ص ١١٦.

(٩) صاحب ، زهير، "تاريخ الفن فى بلاد وادى النيل"، (بغداد ؛ التعليم العالى والبحث العلمى ، ٢٠٠١)، ص١٩.

(١٠) محمد العوام، "خرسانة مسلحة من حوائط "البيتومين" مع الحديد المنصهر"،(القاهرة،٢٠١٠)،ص٢٧.

(11) Rough, Robert H., "The Ancient Near East",(Michigan, w.m.c. , Brown , 1969) , pp. 1- 2.

(١٢) ديروش، كريستيان، "الفن المصرى القديم"، ترجمة؛ محمود خليل النحاس، (القاهرة، ١٩٦٦) ، ص٤٩.

(١٣) علام ، نعمت أسماعيل، "المرجع السابق"، ص٩١.

(14) Breasted. "op. cit". p.222.

(١٥) حجاج ، منى عبد الغنى ، "المرجع السابق"،ص ٧٥.

(16) Smith, W., Stevenson., "The art and architecture of Ancient Egypt", (London , The chaucer press, 1958), p.124.

(17) Breasted, "op. cit" , pp. 224 – 225.

(18) Badawy,A., "History of Egyptian Architecture, A (The Empire (the New Kingdom) From the Eighteenth Dynasty to the End of the Twentieth Dynasty 1580 - 1085 B.C.",(University of Alexandrina,1951), fig. 55.

(19) Maspero, G., "The Dawn of Civilization", (London , s.p.c.k. , 1897) , pp. 37 -39.

(20) Badawy, A., op. cit. fig p. 69.

(21) Scranton, Robert L., "Greek Architecture", (Braziller Publishing by George), (Photographs provided by Mrs. Todd), fig.125.

(٢٢) إبراهيم نصحى، تاريخ مصر فى العصر البطالمة"، (الجزء الرابع-الطبعة الرابعة-القاهرة،١٩٧٧)، صفحات ٣٣ وما بعدها.

(23) Scranton, L.op.cit.,pp.126 -129.

(24) Havekes, Jachuetta, "The First Great Civilization", (London , Penguin book , 1977), p.74.

(25) Badawy,A., op.cit.,f.37.

(٢٦) الخادم، سعد، الفن الشعبى والمعتقدات السحرية"،)القاهرة(، ص ص ٩-١٠)

(27) Wolfgang Waitkus, "Die Texte in den unteren Krypten des Hathortempels von Dendera: ihre Aussagen zur Funktion und Bedeutung dieser Räume",(Mainz, 1997).

(28) Siegel, Janice, "Illustrated Greek History", (Department of Classics, Hampden-Sydney College, Virginia), pp. 58 -59.

(29) Martin,S., Greek Lands", (Press1962).pp.15 -16.

(30) Siegel, Janice, op. cit., pp.67.

(31) Martin, S., op. cit., pp.27.

(32) Alex Lec,James Amdt, and Shane Goldmacher.," Style and Structures of Greek Architecture",(London,),pp.68.

(33) Gromort , Georges , Histoire Abrégée de L'Architecture en Gréce et a Rome , Vincent Freak & G, Editeurs, 4 rue des beaux – arts , Paris , Fig, . 87

(34) Ibid., fig., 66

(35) Ibid., fig., 63